الانسانية والانسان

خطاب للانسة ماري هجي تلته في حفلة جمعية تربية اليتامى الارثوذكسية في حمص

(في منتصف هذا الشهر)

صوتي بعيد عن الاذن لانه ضعيف كالجسد وغيرتكم قريبة من الانسانية لانها حارة كالروح فاسمحوا لي ان اجمع بينهما فاكسب ضعفي قوة ويرودني حرارة

نحن اولاد لاب واحد علمه فوقنا الانسانية وابناء لوطن واحد رايته العثمانية فعلينا ان نحرص على هاتين الرايتين . ان في صيانتهما لنا حياة الامة ومجد الوطن

الا تسمعون مطارق الاستبداد التي لا تزال تدوي في انحاء البلاد ؟

الا تقرأون الوعود التي تخط على صفحات الهواء والاماني المتلاشية المنثورة مع الهباء ؟

اجل يا قوم ! لقد فقدنا الرابطة التي تربطنا بالبشر = اضعنا الراية ولم يعد لنا من نجتمع الوطن امامه خاشعين

عفواً ايها الكرام لست اعني بالراية هنا قطعة النسيج الحمراء التي ترتع في ظل سمائها القانية ـ لا أعني بها الراية التي لا تستطيع عن نفسها دفاعاً ـ

لا اريد بها الراية التي تحييها الشفاه وتمزقها الضغائن والاحقاد ـ

اريد بها العلائق الوثيقة التي تملأ القلوب بعاطفة ولاء واخاء فيشعر اقوياؤهم بحاجة ضعفائهم واغنياؤهم بشجون فقرائهم

اريد بها الشعائر الحية الهادئة الصافية التي تسكن الانواء المخيفة المتلاطمة على شاطئ البحر الاحمر وتلاشي الزوابع الهائلة الثائرة في اعماق البوسفور

اريد بها راية جورج واشنطون التي دحر بها اقوى عناصر الامم على وجه الارض

اريد بها المبادئ الحقيقية السامية التي تقف عليها حياة العروش او اللالىء اللامعة التي ينبثق منها مجد التيجان

هذه هي الراية التي تقي البشر من غوائل الارتجاع ـ

هذا هو الشعار الذي يجب ان يزين صدر كل انسان .

هذه هي الانسانية التي جعلتها موضوع كلامي في هذا المقام

ايتها الشمس النيرة ـ ! ايها الملاك المحبوب ! اشرقي علينا من سمائك العليا وخذي بيدنا لنسير في طريق حياة اسمى من حياة الحيوان

انت صوت الارادة السماوي ـ انت العقل الذي يجب ان نوزع حكمته على افكارنا واعمالنا ـ

ان في قلوبنا اهواء وعلى اعيننا منها غشاء يرينا الامور ملونة كقوس السحاب فمزقيه بالله ودعينا نقترب الى هيكلك المقدس ونركع هناك تحت ظل رايتك ونجعلك ـ دينا جديداً ـ شاملا للبشر ـ ومن ثم ندعو انفسنا بشراً باستحقاق

ماذا يجدي حنين القصب على الطروس من الدفاع عن مبادي الانسانية اذا لم يكن لنا من انفسنا زاجراً

بيننا وبين شاطئ الانسانية خليج كلما سأت تربيتنا يتسع اكثر فاكثر فلا يجوز لنا ان نضرب عن هذا الامر صفحاً اعتقادا منا انه اصبح مبتذلاً

وكما انه لا يجوز لنا ان نلبس المريض ثوباً ارق من الهواء بدلا من القديم الذي يقيه خطر البرد لانه جديد وحسن الزي ولا يجوز ان نقدم للجائع الخائر القوى المقبلات ونمنع عنه الخبز وسائر المغذيات هكذا لا يجب ان نطرق مواضيع جديدة لاننا بحاجة الى الاهم ولكن حسن ان نقف ونحن سائرون في طريق الانسانية لنقتطف الزهور ونسمع اناشيد الطيور اذا كان هذا الوقوف والتلذذ لا ينسينا الغاية التي نحن من اجلها سائرون

معرفتنا بامور التربية لم تنضج بعد وكثير منا لا يزالون يخالون انها اشباع نهم الاولاد او تسكين ضوضاهم المزعجة . ولكن بين الراعي والمربي فرق بعيد

المدارس لا تضع القلادة الذهبية في اعناق من فسدت اخلاقهم ولا تقي الطائشين من التهور

اذا اتحد العلم بالتربية الصحيحة يؤلفان خبز الحياة ـ الخبز الذى لا يستطيع ان

يعيش بدونه انسان

نحن نظن ان كثرة العلوم توصل الى السعادة ولكن ما ابعد السعادة عن العلوم ؟

ان العلوم تقطن في ادمغة المقتبسين اما السعادة ففي عقول الحكماء المستيقظين وشتان بين العلم والحكمة

العلوم وحدها لا تكفي لاسعاد انسانيتنا والفضيلة اي النور الذي ينبعث من شمس انسانيتنا لا تعيش بجهلنا

وفي الجهل قبل الموت موت لاهله فاجسامهم قبل القبور قبور
وان امرءا لم يحي بالعلم ميت فليس له حتى النشور نشور

البذور الجيدة تموت في الصحارى المحرقة قبل ان يظهر منها على وجه الارض ورقة خضراء !

ما اندر الاشجار المثمرة اللذيذة التي تنمو في الخلاء ولا تحتاج الى سهر وعناء !

سادتي — للانسان ارادة وللحيوان عاطفة فلا يجب ان يسلب الواحد مال الثاني لئلا يضمحل الفرق و يتوحد الجنسان

الانسان الكامل هو الرجل والمراة — هما اللذان في استطاعتهما ان يحولا هذه القفار الجرداء الى جنة مثمرة خضراء تتوفر فيها السعادة ويقل منها الشقاء

الامة الواقفة على ابواب الهداية — الامة المضاجعة على مهد الحرية تطلب رجالاً ونساء لا عناكب وذاهلات

لا يغركم هذا الذي يقلد الظواهر وذاك الذي يتشدق بالسياسة والسياسيات وذاك الذي يرفع صوته في الخصام وبذيء الكلام

لا تغركم هذه التي تلد الاولاد والتي تفوق سواها بالمال والجمال والتي تجيد في التبرج والتزين ولا تحيد يمنة اوشمالاً عن اتباع الازياء

ان لم يكن للرجل شهامة الرجل واقدامه ونشاطه ورزانته واجتهاده فهو ليس برجل وان لم يكن للمراة صبر المراة ورقتها وحكمتها وقناعتها وادارتها فهي ليست بامراة

لنسأل انفسنا قبل العمل اذا كان عملنا هذا لا يشين من يدعو نفسه بشراً

انظر الى الامام ولا تكن بالنوعين الحاملين لان الذي يستزيد معرفته واشفاقه وفضائله رغماً هو الذي تدعوه الانسانية من اعالى سمائها هذا هو ابنى الحبيب ان في الامام كل ما يجعل الانسان عظيماً

المستقبل يكون بحسب اهليتنا ومقدار سعينا وجدنا فلا يجب ان نقف الا لكي نجتنب العثرات .

اذا كنا نعمل يا سيدتي لتبذير اموالنا وتدمير بيوتنا فلنلم ذواتنا اذا عندما نسمع كلمات التصغير والتحقير

اذا كنت لا تحافظين على مال زوجك باشد من محافظتك على مالك فانت اذاً اقرب الى الخادمة التي تسر بجمع اجرتها وما تحصله من تبرعات اسيادها منها الى السيدة التي تعلم ان كل ما لزوجها هو لها وما لها هو له

اذا كان البعض يضنون عليك بكلمة سيدة فان رزانتك وتجنبك كل ما يمس باحترامك واحتقارك للبهرجة الفارغة وقيامك بما يطلبه منك الواجب كل هذا يمكنك من النفوذ ويؤيد سلطتك عليهم فيعترفون لك بالسيادة

ان مفاتيح الانسانية اعطيت لك فافتحي ابوابها بيدك اللطيفة ولا تعجبي فكثيراً ما يخرج من الضعف قوة يصغر امامها الاقوياء والعظماء . بددي غيوم الاتعاب عن نفس الرجل وانفي شقاء الايتام عن كيان الانسانية ولا تعمدي الى التزين والتصنع كسائر بنات جنسك السوريات لان في هذا التمدن لخاريب وراءها سقوط الاجيال

ان المرأة الحقيقية هي التي تتجرد من الاسلحة وتقابل نفس الرجل بقوتها الطبيعية وادراكها السامي

ان وهيج السيوف الذي سطع على محيا الام الوهيج الذي اورثت شعاعه لوجنات بناتها هو خير غنى واعظم جمال للمرأة اذا ومض نوره ولم يكن من تصنع يحجبه عن فؤاد الناظر يكفيها هذا الجمال اذا استعاضت به عن اراء المرآة ونصائح المتاجرين بالويلات

انة الجمال هي النظر الى المرآة ملياً — بقدر ما تتجنبين الوقوف امامها يزداد جمالك في عيني نفسك وقدرك في اعين الاخرين

الى الرياضة والحرص على الوقت يا سيدتي ! لا تحتقري اشغال المنزل اذا كنت غنية ولا تتململي من معيشتك اذا كنت متوسطة الحال

ان في حركة العمل تقوية لاعصابك وخدمة لجمالك

ان في مطالعة الكتب والمجلات المفيدة نفعاً عظيماً ان المراة التي تتمسك بالفضيلة وتتقن علم السلوك وتدبير المنزل وحفظ الصحة وتأنف من العادات السيئة هي المرأة التي تجعل بيت والدها واخيها وزوجها وابنها جنة زاهرة ترفرف فوقها السعادة ويهرب منها الشقاء وتعتز بها الانسانية التي يتوقف القسم العظيم من حياتها عليها لانها ام الرجال والنساء من عقلها السامي يستمدون لاعمالهم قوة ومن عينيها المفتوحتين ينيرون دجى ظلماتهم باشعة

فيا ايتها الاعمدة العظيمة ان بناء الانسانية متوقف على همتك فاملأي العالم بالاعمال الصالحة الجميلة والقلوب بالتأثرات الحبة الصادقة

لقد لبيت دعاء الانسانية الصارخة الى الانسان الرفق باخيه واتيت الى هذا المكان لتظهري ما انطوت عليه نفسك من الشعور مع الضعيف المهجور فليكلل الله انسانيتك بخير النعم والبركات

نعم ان الاحسان دين وفرض من الانسانية على الانسان ولكن ما يظهره الحمصيون من كرم الاخلاق والغيرة الحارة ووفرة السخاء جعل سوريا تلتفت اليهم لفتة اعجاب واندهاش لتهنئهم على سبقهم في قيامهم بواجب انسانيتهم

اما انتن ايتها اليتيمات يا من حرمكن الله من حنان الام ورأفة الاب .

يا ايتها الاوراق التي لا ازهار لها وقد امست وحيدة في منعطفات البشرية المظلمة حانية الراس امام العواصف الهابة والامطار الهاطلة والرعود القاصفة خافية دموعها بين وريقاتها الضعيفة

لقد وجدت من سيدك الكريم خير اب احتمى بظله ومن مواطنيك الغيورين خير ام تلجأين الى صدرها فتقرأ على مسامعك حنانها ومحبتها وتنشف تلك الدموع السرية بشمس انسانيتها النيرة

فابتهجي الى الله ليخفف من وطأة شقائهم ويعدد امثالهم ويسهل لهم طرق الفلاح

ان مساعدة الانسان لسواه اقرب للشعور بالغبطة الحقيقية واللذة الدائمة

نضيع على مشتهياتنا اموالاً كثيرة لا نعدها ولا نذكرها ولا نستفيد منها ولكن ذكر الدرهم الواحد الخالد الذي تمدّ به الفقير المسكين يسبب لنا فرحاً وسروراً دائماً

اما انت ايتها اليتيمة التائهة في ازقة البشرية القذرة — ان شقاءك لأعظم شقاء على وجه الارض فرفقاً بها ايتها الانسانية رفقاً بها ايها البشر . وحولوا ابصاركم الى هذا السهل الفسيح الذي امتلأ قلوباً حية تتحرك وتحسن وخذوا من الحمصيين الكرام خير مثال تنسجون على منواله وتشبهوا « ان التشبه بالكرام فلاح »

جمال الزوجة وجمال الأم

قال تولستوي الفيلسوف الروسي ما معناه: تظل المرأة عبدة الرجل واسيرة هواه طالما تعيش لتكون زوجة له غايتها مرضاته واعجابه ولا ينجيها من اسره ويخولها حق التساوي به الا متى كانت اماً حنوناً تعيش لتسعد اولادها وتسهر على تقدمهم جسماً وعقلاً :

خلقت المرأة لتعيش لغيرها وليس لنفسها . خلقت لتمتلك قلوب من هم حولها وتكتسب محبتهم وصداقتهم . وبكلمة واحدة خلقت لتكون محبوبة من غيرها وتهب هي محبتها لهم وبما ان المرأة تتصور ان جمالها هو العامل الوحيد الذي جذب اليها قلب زوجها وحمله على اختيارها دون سائر البنات لتكون شريكة له فهي لا تألو جهداً للمحافظة عليه ولو كلفها ذلك كل تعب وعناء حاسبة انها كلما تفننت في زيادة وجهها اشراقاً ورواءً يزداد زوجها محبة لها وتعلقاً بمحاسنها فتصرف الايام وتطوي السنين ولا هم لها الا ان تبدو على اتم ما يمكن من الزينة والبهرجة فتبخل بالحركة في البيت كي لا تضعف قواها وتكسل عن لبس ملابسها حتى لا يذهب احمرار وجنتيها . كل ذلك عوامل تؤول بها لكراهة الامومة وعمل ما بالوسع لعدم الوقوع تحت سنن الطبيعة التي لا تهتم